المحاضرة رقم 6 مدرسة الكوفة منهجها وأعلامها

تهيد:

تعد مدرسة الكوفة حديثة العهد بالنشوء إذا ما قيست بمدرسة البصرة النحوية، وكانت الاتصالات بين الكوفة والبصرة مستمرة منذ تمصيرها، فكانت الكوفة مستقرا ومقاما ومركزا للفقه والحديث والقراءة، و رواية الشعر والأدب، فانتقلت بذلك الدراسات من البصرة إلى الكوفة، إما مع الذين شدّوا الرحال الى البصرة ، ثم رجعوا إلى الكوفة، وإما مع الذين هاجروا من البصرة ليتخذوا من الكوفة دار إقامة[1] .

بداية مدرسة الكوفة النحوية:

تبدأ عند القدماء بأبي جعفر الرؤاسي، وكان أبو جعفر قد أخذ النحو عن عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، ولم تكن عنايتهم بالكتاب بأقل من عناية البصريين،إلا انهم كانوا يقفون منه في اغلب الأحيان موقف الناقد. وكانوا يستمدون منه مادة درسهم الأولى، ويعد الكسائي والفراء شيخا المدرسة الكوفية، أما الكسائي فقد درس على يد سعيد بن مسعدة الأخفش وكانت المادة للكوفيين كتاب سيبويه،[2] إضافة إلى المرويات الضخمة التي جمعها الرواة الأولون، كأبي عمرو بن العلاء وأبي عبيدة والأصمعي وغيرهم من البصريين وهؤلاء الرواة الذين كانوا يعنون بالاتصال بهم و الأخذ عنهم. ثم البوادي العربية التي كانت تزخر بالفصاحة، وفي طليعتها نجد وتهامة إضافة إلى البوادي التي شدّ الكسائي الرحال اليها، فقضى بين أعرابها زمنا طويلا يكتب ما يسمعهم منهم.[3]

✓ **تطور الدراسات النحوية في الكوفة:**

انتبه الكسائي الى أن ما عند المؤدبين والمعلمين من النحاة الكوفيين أمثال معاذ والرؤاسي لا يمثل النحو العربي الذي ظهر في البصرة، لذا فقد شد الرحال الى البصرة مدينة النحو وحضر حلقات الدرس فيها على اختلافها واقتصر على حلقة الخليل لما رآه عنده من علم؛ فاستفسر عن مصادر علمه وعرف أنه من بوادي نجد وتهامة، فخرج يسمع ويدون ما يسمعه، ثم عاد

---

[1] ينظر ، مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة، ص 66.

[2] ينظر المرجع نفسه ص 68،69.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص72.

إلى بلده لينشر ما أخذه عن الخليل،[1] وتبعه في ذلك تلميذه الفرّاء فرحل إلى البصرة وسمع من يونس بن حبيب، فنما ما عنده من مسموع غير مدروس، وكان يتنازع عند الكسائي منهجان:

- أحدهما ما شب عليه ونشأ وهو منهج مقيد بالنقل والرواية وليس للعقل عليه سلطان، وهو منهج الفرّاء القائم على الرواية،
- وثانيهما منهج مقيد بالعقل يحاول إخضاع المسموع لأحكامه وهو منهج علماء النحو القائم على القياس وتنظيم ما ما تشابه من ظواهر، ودراستها دراسة عقلية ووضع الأحكام والأصول التي تحكمها، لذا اتخذ منهجا وسطا اتضح في اختياره قراءاته من بين قراءات كثيرة جمبعها تعتمد النقل، إلا أنه حكّم مقاييس النحاة في التمييز بينها، وحكّم الرواية والسّماع في منهج درسه النحوي.[2]

أما التطور الثاني فقد بدأ في موقفهم من القياس حيث أدى بهم المسموع إلى تغيير كثير من الأقيسة التي وضعها البصريون وعدوها مقدسة لايجب لا يجب نقضها ومخالفتها. وتوسعوا في القياس على كل ظاهرة واردة في هذا المسموع[3]. وتذكر الروايات أن الكسائي بالغ في أقيسته فأجاز وضع اقيسة لا تعتمد على مسموع في الظاهرة نفسها وإنما بناها على المشابه والمخالف والمعاكس أما الفراء فقد خالفه في ذلك واعتمد الكثرة فيما لم يكن لغة فصيحة ويأخذ بالشاهد الواحد أيضا شرط التأكد من فصاحته[4].

مصادر الدراسة الكوفية:

1- النحو البصري

2- لغات الأعراب التي اعتمد عليها البصريون

3- لغات أخرى أبى البصريون الاستشهاد بها

4- القراءات القرآنية

---

[1] خديجة الحديثي: مدارس نحوية، ص 128.

[2] المرجع نفسه، ص 129.

[3] المرجع نفسه، ص 130.

[4] المرجع نفسه، ص131.

منهج المدرسة:

يقول أحمد أمين(إن البصريين كانوا اكثر حرية ، أقوى عقلا ، وإن طريقتهم أكثر تنظيما، وأقوى سلطانا على اللغة، وإن الكوفيين أقل حرية، وأشد احتراما لما ورد عن العرب، فالبصريون يريدون ان ينشئوا لغة يسودها النظام والمنطق، ويميتوا كل أسباب الفوضى، من رواية ضعيفة او موضوعة، أو قول لا يتماشى مع المنطق، والكوفيون يريدون أن يضعوا قواعد للموجود، حتى الشاذ من غير ان يهملوا شيئا[1])

يلخص النص منهج نحاة الكوفة في دراستهم للظواهر اللغوية، وقوله أن الكوفيين أقل حرية فهو يقصد انهم كانوا يحترمون ما ورد عن العرب من نصوص وما ورد أن القرآن قرأ به، ولا يخضعون هذه النصوص للأقيسة التي وضعها البصريون، ونظرا لتوسعهم في القياس فهم يريدون أن يضعوا قواعد لكل مسموع موجود وافق شروط الفصاحة وإن يضعوا قواعد لكل مسموع موجود وافق شروط الفصاحة وإن لم يكن من القبائل التي حددتها مدرسة البصرة النحوية.

[1] مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة، ص 351.